

# الملك عبدالعزيز وزعماء الخليج جسور أخوة تؤسس وحدة المصير

## التكامل الخليجي تاريخ مشترك يعبر القرون ويصنع حاضراً متماسكاً



الملك عبدالعزيز يستعرض حرس الشرف مع الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أثناء زيارته للبحرين. أرامكو. (دائرة الملك عبدالعزيز)



الملك عبدالعزيز مع الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ويبدو أبناء الملك عبدالعزيز الأمير سعود والأمير فيصل والأمير منصور في منى أثناء الحج (دائرة الملك عبدالعزيز)



د. أسماء بنت خالد بن سلمان باحثة في التاريخ وأكاديمية بحرية



أحمد بن سعيد البادي، كاتب وباحث في التاريخ الخليجي من سلطنة عُمان



سالم بن بشير السليمانى باحث من دولة الكويت



الاستاذة الدكتور فاطمة الصايغ أكاديمية جامعة الإمارات



د. عمر بن معن العجلي أكاديمي وعضو اتحاد المؤرخين العرب

### تقرير - نوال الجبر

في مطلع القرن العشرين، حين كانت الجزيرة العربية تموج بالتحولات وتنتهي لصياغة فصل جديد من تاريخها، برّغ اسم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود باعتباره قائداً فذا حمل على عاتقه مهمة استعادة الرياض، ثم توحيد أقاليم مترامية الأطراف تحت راية واحدة. لم يكن هذا المشروع العظيم محصوراً في الداخل السعودي فحسب، بل ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمحيطه الخليجي، إذ أدرك المؤسس منذ وقت مبكر أن نجاح مشروع التوحيد يحتاج إلى عمق استراتيجي تتجلى ملامحه في بناء جسور قوية مع جيرانه من المشيخات والسلطات الخليجية التي كانت آنذاك تحت الحماية البريطانية.

في زمن الملك عبدالعزيز لم تكن دول الخليج العربية قد تأسست بشكلها الحديث المعروف اليوم. بل كانت عبارة عن مشيخات وإمارات وسلطنات، ومعظمها كان تحت النفوذ أو الحماية البريطانية.

البحرين: كانت إمارة يحكمها آل خليفة، تحت الحماية البريطانية منذ أواخر القرن التاسع عشر.

الكويت: كانت مشيخة يحكمها آل الصباح، واعترفت بريطانيا بها ككيان مستقل عن الدولة العثمانية في معاهدة 1899.

قطر: كانت تحت حكم آل ثاني، وبخلت في اتفاقيات حماية مع بريطانيا منذ 1916م.

الإمارات (الساحل المتصالح آنذاك): لم تكن دولة الإمارات بعد، بل مجموعة مشيخات (أبو ظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة...)، جميعها ارتبطت باتفاقيات حماية مع بريطانيا (منذ 1820 حتى 1892م).

عُمان: كانت سلطنة قائمة بالفعل، يحكمها سلاطين البوسعيد، لكنها تأثرت هي الأخرى بالنفوذ البريطاني في شؤونها البحرية.

المملكة العربية السعودية: في طور التأسيس والتوحيد بقيادة الملك عبدالعزيز، حتى إعلان المملكة العربية السعودية عام 1932م.

الملك عبدالعزيز تعامل مع شيوع وأراء هذه الكيانات مباشرة، وكانت علاقاتهم معهم ذات طابع شخصي وسياسي في آن واحد.

فكرة "دول الخليج" كتكتة سياسية مستقلة لم تتبلور إلا لاحقاً، خصوصاً بعد الاستقلالات في الستينات والسبعينات.

لقد عاشت المنطقة في تلك الفترة حالة من السهولة السياسية، حيث كانت القوى الاستعمارية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا، ترسم خطوط النفوذ على سواحل الخليج. ومع ذلك، سعى الملك عبدالعزيز إلى أن تكون علاقته مع هذه الكيانات الخليجية علاقة أخوة وتفاهم، لا علاقة صراع أو تبعية. كان ينظر إلى البحرين والكويت وقطر ومشيخات الساحل المتصالح (الإمارات لاحقاً) وعُمان بوصفها امتداداً طبيعياً لجزيرة العرب، يتشارك أهلها مع السعوديين في الدين والعادات والقبائل والتجارة، وأن أي مشروع للوحدة الداخلية لا يكتمل إلا بتثبيت دعائم هذه الروابط.

وكانت البحرين، في قلب تلك الرؤية، أولى محطات علاقاته الخليجية. فقد أقام فيها الملك عبدالعزيز طفلاً مع والده الإمام عبدالرحمن بعد خروجه من الرياض عام 1891م، ونشأ في كنف الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث تشرب معنى الضيافة والوفاء، وعاش كيف يمكن للجوار أن يتحول إلى حاضنة أمنة. تلك التجربة المبكرة عكّنت لديه قناعة بأن البحرين ليست مجرد جدار، بل أخ وصديق، وهو ما انعكس لاحقاً حين توطدت المراسلات والزيارات المتبادلة بينه وبين حكامها بعد أن أصبح ملكاً.

أما الكويت، فقد شكّلت نموذجاً آخر لهذه السياسة المبكرة. فالمؤسس كان يرى في مشيخة الكويت شريكاً حيوياً، يقطع معها في المصالح التجارية، ويندأخل معها عبر القبائل والأسواق البحرية. ولذا حافظ على علاقات متوازنة مع آل الصباح، قائمة على الاحترام وتقدير الجوار، متجاوزاً أي حساسيات قد تثيرها التحالفات الخارجية أو الأوضاع السياسية المعقدة في ذلك الزمن.

في قطر ومشيخات الساحل المتصالح (الإمارات لاحقاً)، كانت السياسة ذاتها حاضرة. فقد استمتت نظرة الملك عبدالعزيز بالبراغماتية الحكيمة؛ فهو لم يسع إلى فرض نفوذه على حسانهم، بل إلى ترسيخ علاقة ود تنحى له المضي في مشروعه التوحيدي من دون أن يشغل بخلافات جانبية. كانت رسالته ومراسلاته لشيوخ تلك المناطق، وما تضمنته من تهنئة بالمناسبات وتأكيد على روابط الأخوة، دليلاً على أنه أراد للعلاقة الخليجية أن تبنى على الاحترام والثقة المتبادلة.

وعُمان بدورها احتلت حيزاً مهماً في رؤية المؤسس. فقد كان يدرك طبيعة موقعها الاستراتيجي على مدخل المحيط الهندي، ويرى في علاقته مع سلاطينها امتداداً لنهج الاستقرار المطلوب لتأمين الجزيرة العربية من أي تهديدات بحرية أو تجارية. ولم يكن الهدف في تلك المرحلة تحقيق نفوذ سياسي مباشر، بل ضمان علاقة حسن جوار تجعل حدود المملكة الشريفة والجنوبية آمنة ومستقرة.

لقد جاءت معاهدة دارين عام 1915م لتكون محطة فارقة في رسم معالم هذه السياسة، حيث أكدت على استقلالية المشيخات الخليجية من جهة، واعترفت بدور الملك عبد العزيز كقوة صاعدة في الجزيرة من جهة أخرى. ثم جاءت معاهدة 1927م لتفتح هذا النهج بعداً أكبر من الشريعة الدولية، إذ تضمنت التزامات متبادلة بين الملك عبدالعزيز وبريطانيا فيما يخص احترام سيادة البحرين والكويت وبقية مشيخات الخليج. هذه الاتفاقيات لم تكن مجرد وثائق سياسية، بل كانت تعبيراً عن فلسفة المؤسس في أن التوحيد الداخلي لا ينفصل عن ترسيخ الثقة مع الجيران اقتصادياً. كان الملك عبدالعزيز واعياً بأن التجارة والاقتصاد هما الجسر الأكثر ثباتاً للعلاقات. ففي مرحلة ما قبل النفط، كانت تجارة اللؤلؤ في البحرين والكويت، وتجارة التمور في الأحساء والقطيف، تشكل شبكة مترابطة عززت وحدة المصير بين ضفتي الخليج. ومع بداية عصر النفط، تعامل المؤسس مع المورد الجديد بوصفه فرصة لتعميق هذه الروابط، لا إثارة التنافس عليها. فقد اتفق مبكراً على تكرير جزء من النفط السعودي في البحرين، وأدرك أن التعاون في هذا المجال سيجعل

الأحساء والقطيف مصدرًا رئيسًا للتمور والمواشي والحبوب التي يحتاجها المجتمع البحريني، ممّا رسّخ علاقات اقتصادية عميقة. وقد عززت المصاهرة والتواصل الاجتماعي هذا التداخل المستمر بين البحرين وشرقيّ الجزيرة العربية.

#### الملك عبدالعزيز وبناء علاقات الجوار

مع إعلان توحيد المملكة العربية السعودية عام 1932م، رسّخ الملك عبد العزيز مكانته كقائد إقليمي واسع النفوذ. وبمجرد أن استتب له الحكم في الداخل، انفتحت إلى علاقات الجوار، وكان ينظر إلى البحرين باعتبارها شريكاً طبيعياً لا يمكن تجاوزه. فاعتمد سياسة حسن الجوار التي تقوم على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، مع الحرص على ترسيخ روابط الأخوة، وهي سياسة لمسها حكام البحرين بوضوح وأسست لعلاقة قائمة على الثقة.

#### المراسلات والصلوات الشخصية

تُظهر الوثائق التاريخية المحفوظة في مركز عيسى الثقافي ودارة الملك عبد العزيز حجم المراسلات المتبادلة بين الملك عبد العزيز والشيخ عيسى بن علي آل خليفة خلال الفترة من 1913 إلى 1927م. حيث استمتت هذه الرسائل بروح أخوية إلى جانب الطابع الرسمي، إذ تضمنت تبادل التهاني بالمناسبات الدينية والسياسية والاطمئنان على الأهل والأبناء. كان الملك عبد العزيز يخاطب الشيخ عيسى بلقب "الوالد"، في إشارة إلى عمق المودة والاحترام الذي يكنه له، ما منح العلاقة بُعداً عائلياً يتجاوز الطابع السياسي. كما عكست المراسلات ثقة الملك عبد العزيز بالشيخ عيسى، إذ كان يستشيريه في قضايا تتعلق بأوضاع المنطقة. وفي المقابل، أكد الشيخ عيسى في رسائله مكانة آل سعود الخاصة لدى آل خليفة.

#### الزيارات المتبادلة

إلى جانب المراسلات، شكّلت الزيارات المتبادلة بين الملك عبد العزيز وقادة البحرين محطات مفصلية في تاريخ العلاقات بين البلدين. فقد كانت الزيارة الأولى عام 1891م حين رافق الشاب عبدالعزيز والده الإمام عبدالرحمن إلى البحرين بعد خروجه من الرياض، ثم جاءت زيارته الثانية عام 1930م بعد أن أصبح ملكاً مؤسساً، وكانت أول زيارة رسمية له للبحرين، حيث التقى مجدداً بالشيخ عيسى في لقاء مؤثر عبر فيه كل طرف عن مكانة الآخر، حيث ذكر الشيخ عيسى بن علي والدموع في عينيه: "أموت الآن مطمئناً بعدما رأيت عبدالعزيز في هذه الحالة". وذلك عند زيارته للبحرين ونزوله بها رغم عدم رغبة وقيول بريطانيا لتحرّكاته، وكنّته يستحضر ذاكرته حول الشأن الذي تخيله للإمام عبدالعزيز عندما قابلته لأول مرة. وقد كانت تلك آخر مرة لبلقيان فيها قبل وفاة الشيخ عيسى عام 1932م. وفي عام 1937م قام ولي العهد الأمير سعود بزيارة رسمية إلى البحرين التقى خلالها بالشيخ حمد بن عيسى الكبير وكانت عام 1939م بدعوة من الشيخ حمد بن عيسى، واستمرت خمسة أيام استقبل خلالها الملك عبدالعزيز بحفاوة رسمية وشعبية بالغة، وصلى الجمعة في جامع الفاضل، وزار المنشآت النفطية ومصفاة البترول، وأقيم له حفل استقبال كبير في حديقة الباششة حضره أعوان البحرين ورجالها. وبعد مغادرته أرسل برقية مؤثرة إلى الشيخ حمد عبر فيها عن امتنانه وعمق روابط الأخوة.

#### العلاقات السياسية والأمنية

برزت العلاقات السعودية–البحرينية منذ وقت مبكر على الصعيدين السياسي والأمني، فقد شكّلت معاهدة دارين 1915م محطة أساسية في ترسيم حدود المملكة مع دول الخليج العربي وتأكيد اعتراف الملك عبدالعزيز باستقلالها، بما فيها البحرين، الأمر الذي عزّز الثقة والاستقرار الإقليمي. ثم جاءت معاهدة جدة 1927م لتفتح هذه العلاقة بعداً أعمق، حيث نصت على اعتراف بريطانيا بالسيادة الكاملة للملك عبدالعزيز على الحجاز ونجد وملحقاتها، وفي الوقت نفسه تعهد بالحفاظ على علاقات الود والسلم مع البحرين وبقية مشيخات الخليج العربي، الأمر الذي عكس حرصه على ترسيخ سيادة البحرين وتعزيز أمنها، ورسّخ مكانة المملكة كطرف فاعل في حماية استقرار المنطقة.

أما على الصعيد الأمني، فقد جاء التنسيق بين البلدين ضرورةً لحماية السواحل وضمان حرية الملاحة، إضافة إلى معالجة الإشكالات الناتجة عن القرب الجغرافي مثل انتقال القبائل والمسائل الحدودية. وقد عولجت هذه القضايا بالجوار والتفاهم المباشر بين الملك عبدالعزيز وحكام البحرين بعداً عن التصعيد، ممّا جعل العلاقة بينهما نموذجاً للتعاون السلمي القائم على الحكمة وروح الجوار. كما امتد هذا التعاون إلى الشأن الداخلي، حيث أسهم التنسيق السياسي في احتواء النزاعات القبلية وتعزيز الاستقرار الداخلي، الأمر الذي دعم هيبة الدولة الحديثة ورسّخ مكانتها في الجزيرة العربية.

#### العلاقات الاقتصادية

ارتبطت البحرين والسعودية بروابط اقتصادية وثيقة منذ القدم. ومع بداية القرن العشرين ظهرت تحديات مثل "ضرائب الترانزيت" المفروضة على التجارة المارة عبر البحرين، ما دفع الملك عبدالعزيز إلى التفاوض لتخفيفها، وتم التوصل إلى اتفاق جمركي متوازن عام 1935م.

ومع اكتشاف النفط في البحرين عام 1932 ثم في السعودية عام 1938م، دخلت العلاقات الاقتصادية مرحلة جديدة غيرت ملامح الاقتصاد في البلدين. فقد أصبح النفط المورد الأساسي للدخل، وبخلت شركات النفط العالمية المنطقة مما خلق مصالح اقتصادية مشتركة. وفي عام 1936م اتفق على تكرير جزء من النفط السعودي في مصفاة البحرين، ثم جرى لاحقاً مد خط أنابيب بحري بين الدمام والبحرين عام 1945م، كما قام الملك عبد العزيز بزيارة البحرين عام 1939م للاطلاع على المنشآت النفطية وبحث سبل التعاون، وهي زيارة عكست إدراكه العميق لأهمية البعد الاقتصادي في العلاقات الثنائية.

ولم يقتصر الأثر على الاقتصاد فقط، بل انعكس أيضاً على المجتمع، إذ ازدادت حركة العمالة بين البلدين، فعمل العديد من البحرينيين في شركات النفط السعودية، بينما استقادت البحرين من الخبرات والعمالة القادمة من السعودية. هذا التداخل الاقتصادي أسهم في خلق وعي مشترك بأهمية التعاون لمواجهة تحديات العصر الجديد، ورسّخ دعائم الشراكة الاستراتيجية بين البلدين.

#### العلاقات الاجتماعية والثقافية

امتدت العلاقات بين المجتمعين السعودي والبحريني لتشمل الروابط الاجتماعية والثقافية، فقد عززت المصاهرة والأنساب المشتركة شبكة واسعة من العلاقات بين العائلات، وكان التثقل بين البلدين أمراً طبيعياً للتجارة والعمل والدراسة والإقامة الدائمة.

كما لعبت البحرين دوراً محورياً في حركة الحج، إذ كانت محطة رئيسة للحجاج القادمين من الهند وشرق آسيا قبل انتقالهم إلى الأراضي المقدسة عبر السواحل السعودية. هذا الدور عزّز من ارتباط البحرين الديني بالمملكة التي تحضن الحرمين الشريفين، ورسّخ العلاقة الروحية بين الشعبين.

أما على الصعيد الثقافي والفكري، فقد أسهمت حركة التجارة والتنقل والحج في تبادل واسع للأفكار والعادات، ممّا أسس لنوعي خليجي مشترك ووحدة في القيم والمفاهيم. وكان للعلماء وطلبة العلم دور بارز في هذا التبادل، حيث شهدت البحرين حضوراً لعلماء سعوديين، كما كان لعلماء البحرين مشاركات في المجالس العلمية بالحجاز. هذه الحركة الفكرية والدينية رفدت القاعدة الثقافية المشتركة، وعكّنت الروابط الحضارية بين الشعبين.

كما شكّل المجال الصحي أحد أوجه التعاون المبكر بين البلدين في عهد الملك عبدالعزيز، وذلك في ظل انتشار بعض الأمراض والأوبئة في منطقة الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين. فقد أظهرت الوثائق التاريخية حرص الملك عبدالعزيز على تقديم الدعم الصحي للبحرين، حيث استقدمت فرق طبية أجنبية لمعالجة الأوبئة المنتشرة آنذاك، كما جرى تبادل الخبرات الطبية والأدوية بين الجانبين. وقد أسهمت زيارة الأطباء الأمريكيين والبريطانيين للمنطقة في تعزيز هذا التعاون، إذ كان الملك عبدالعزيز يسهّل وصولهم إلى البحرين ويقدم التسهيلات اللازمة لأعمالهم. ويعد هذا الجانب دليلاً على أن العلاقات بين البلدين لم تقتصر على المجال السياسي والاقتصادي، بل امتدت إلى المجال الإنساني والصحي بما يعكس طبيعة التعاون الشامل بينهما.

#### النتائج والتأثيرات المستقبلية

لقد أرسى الملك عبدالعزيز من خلال سياسته المتوازنة نموذجاً في العلاقات الخليجية يقوم على حسن الجوار والاحترام المتبادل. لقد أثبت الملك عبدالعزيز أن بناء الدولة السعودية الحديثة لا يعني الانعزال عن محيطها، بل إن قوتها الحقيقية تكمن في توثيق الروابط مع جيرانها. وبفضل هذا النهج تحولت العلاقة السعودية البحرينية إلى علاقة استراتيجية شملت السياسة والأمن والاقتصاد والمجتمع. ومن أبرز نتائج هذه العلاقة ترسيخ الثقة السياسية بين القبايتين، وبناء شراكة اقتصادية متطورة انطلقت من تجارة اللؤلؤ والتمور وتوسعت مع عصر النفط، إضافة إلى تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية التي جعلت الشعبين جزءاً من نسيج واحد. كما وضعت هذه العلاقة أساساً لفكرة التكامل الخليجي التي ظهرت لاحقاً، إذ كان الملك عبدالعزيز يؤمن بأن استقرار الجزيرة العربية والخليج العربي لا يمكن أن يتحقق إلا بالتعاون والتنسيق بين دول المنطقة. وقد مهدت هذه الرؤية الطريق لقيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام 1981م، والذي يعد امتداداً عملياً لسياسة الملك المؤسس الحكيمة.

←

# روابط الدين والاقتصاد

## الملك عبدالعزيز وصناعة العمق الاستراتيجي في الخليج العربي



التبعية الأجنبية، ما جعل العلاقة السعودية-الإماراتية ركيزة للتضامن الخليجي تكثرت تلك: أ.د. فاطمة الصايغ- أكاديمية جامعة الإمارات العربية المتحدة:

في مطلع القرن العشرين، كانت منطقة الخليج العربي تقف عند منعطف حاسم، إذ كانت أطماع القوى الأجنبية - من البريطانيين الذين بسطوا نفوذهم على سواحل الخليج، إلى العثمانيين الذين سعوا لإحياء حضورهم في شرق الجزيرة- تلقي بظلالها القليلة على المشهد السياسي. وفي هذه اللحظة التاريخية الحرجة، برز زعيمان عريان امتلكا الكاريزما والقدرة على صناعة الحدث: الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان (زايد الأول)، حاكم أبوظبي (1856 - 1909)، والملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود (1876 - 1953)، مؤسس المملكة العربية السعودية. لم يكن حضورهما مجرد انعكاس لظروف داخلية، بل كانا صوتين عربيين بارزين سعيًا للحفاظ على استقلال بلديهما في وجه الضغوط الخارجية. وكما استطاع زايد الأول أن يرسخ مكانة أبوظبي ضمن مشيخات الساحل المتصالح، استطاع الملك عبدالعزيز أن يطلق مشروع توحيد الجزيرة انطلاقًا من الرياض عام 1902.

**زايد الأول وعبدالعزيز - زعيمان بؤية متقاربة**  
يُجمع المؤرخون على أن زايد الأول والملك عبدالعزيز كانا شخصيتين تتمتعان بالحضور الطائي والرؤية البعيدة.  
- زايد الأول، الذي حكم أبوظبي أكثر من نصف قرن، نجح في تحقيق توازن بين المصالح القبلية والضغط الخارجية، وجعل من الإمارة قوة يحسب لها حساب في منطقة الخليج.  
- أما عبدالعزيز، فقد كانت بدايته من الرياض معركة لإعادة الحق التاريخي لأسرته، ثم توسعت رؤيته إلى مشروع وطني أكبر هو بناء دولة مركزية موحدة.  
كان زايد الأول حريصًا على أن تبقى أبوظبي بعيدة عن التبعية الأوروبية، فيما كان عبدالعزيز يعمل على إبعاد نجد والحجاز عن هيمنة العثمانيين والبريطانيين.

**الاتصالات المبكرة بين أبوظبي والرياض**  
مع بدايات القرن العشرين، بدأت الاتصالات بين أبوظبي وعبدالعزيز، إذ أدرك زايد الأول أن استقرار أبوظبي مرهون بتحالفاتها مع العمق العربي في الجزيرة. وبالمقابل، رأى عبدالعزيز بأبوظبي فرصة تمنحه سندًا سياسيًا في منطقة كانت مسرحًا للتنافس الدولي. ومع وفاة زايد الأول عام 1909، لم تنقطع هذه الصلات، بل استمرت على يد خلفائه الذين حافظوا على نهج التواصل مع الرياض. هذا الحرص على الاستمرارية يعكس أن العلاقة لا تكن عبارة أو مرتبطة بشخص واحد، بل كانت خيارًا إستراتيجيًا للجانبيين.

**وحدة الهدف - الاستقلال عن النفوذ الخارجي**  
كانت القوى الأجنبية آنذاك تمارس نفوذًا عبر معاهدات الحماية التي فرضتها بريطانيا على مشيخات الخليج، في وقت كان العثمانيون يحاولون استعادة حضورهم العسكري. أمام هذا الواقع، تشابه موقف الزعيمين:  
- زايد الأول تمسك بالقرار المستقل ورفض أن يُختزل مستقبل أبوظبي في تقاضيات القوى الأجنبية.  
- الملك عبدالعزيز أدار توازنًا دقيقًا مع البريطانيين، لكنه لم يسمح لهم مطلقًا بالتدخل في شؤون دولته الداخلية.  
هذه الرؤية المشتركة منحت العلاقة بين أبوظبي والرياض عمقًا إستراتيجيًا مبكرًا، ومهدت لاحقًا لظهور فكرة التضامن الخليجي.

**إرث ممتد عبر الأجيال**  
بعد وفاة زايد الأول، واصل خلفاؤه العلاقة مع الملك عبدالعزيز، الذي كان في خضم بناء الدولة السعودية الحديثة. هذا الامتداد التاريخي جعل من العلاقة بين أبوظبي والرياض قاعدة راسخة، تتجاوز حدود الجغرافيا إلى مفاهيم وحده المصير.  
وبينما انشغل العالم بتقاسم النفوذ في الخليج مع اكتشاف النفط لاحقًا، ظلت العلاقة السعودية - الإماراتية (أبوظبيي خصوصًا) محكومة بثوابت: الاستقلال، الأمن المشترك، والروابط الاجتماعية والثقافية. فقد كان كلا الشعيين يدرك أن التهديدات الخارجية لا تواجه إلا بتماسك داخلي.

**أثر العلاقات في الواقع الخليجي**  
إن استقراء تلك المرحلة التاريخية يكشف أن العلاقة بين الملك عبدالعزيز وزايد الأول لم تكن مجرد صفحة عابرة، بل كانت نواة لنهج ما زال حاضراً في السياسة الخليجية حتى اليوم. ففكرة الاعتماد على العمق العربي، ومواجهة النفوذ الأجنبي المتضامن، وجدت لاحقاً تعبيرها المؤسسي في مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام 1981.  
ولولا تلك الجذور المبكرة من التقاهم بين أبوظبي والرياض، لما كان بالإمكان أن تنشأ شراكة سعودية - إماراتية بالصلاية التي نراها اليوم. يمكن القول إن علاقة الملك عبدالعزيز بإمارة أبوظبي، منذ عهد زايد الأول وخلفائه، مثلت جزءاً من مشروع أكبر لتثبيت استقلال المنطقة وإبعادها عن الأطماع الأجنبية. فقد جمع الزعيان طموح مشترك ورؤية متقاربة جعلت منهما حجر الأساس لعلاقات استراتيجيّة ممتدة.  
والإمارات لم تلقيا مصادفة، بل عبر إرث متين تأسس على يد زعامات أمنت بأن الخليج للعرب، وأن قراره ينبغي أن يبقى بيد أبنائه. إنها علاقة ضاربة في الجذور، لا تزال تلهم الحاضر وتوجه المستقبل.

**عمان والمملكة- جذور ممتدة وعلاقة راسخة**  
امتدت علاقة السعودية وعمّان منذ واحة البريمي إلى اتفاقات التعاون

قال الفرخان: كان هذا البيت ملاصقاً لبيت عبد الرحمن حسين الزنكي والد حسن وعبدالله وعلي ومبارك وزوجته هميان عيسى الحاي، وأستطيع ان أحدد بيت العامر وهو على مقربة من مسجد البحر.» السيدة هميان بنت عيسى بن حني (1880م1958م-)، زوجة عبد الرحيم حسين زنكي (1847م1946م-). أرضعت الملك سعود بن عبدالعزيز أثناء وجوده في الكويت مع ولدها علي (1901م1943م-).  
كان الإمام عبدالرحمن خطب لابنه عبدالعزيز زوجته الأولى شريفة بنت صقر بن شايح الفجري من بني خالد، وذلك في عام 1894م أثناء تواجدهما في الكويت، وقد توفيت بعد مضي سبعة أشهر نتيجة إصابتها بالجذري، وكانت زوجته الثانية هي وضى بنت محمد بن برغش بن عقاب من آل عريعر التي أنجبت له ابنه البكر تركي، والأمير سعود والأميرة منيرة، رحمهم الله أجمعين.

أزيل بيت ابن عامر أثناء عملية هدم البيوت القديمة في بداية الخسينيات وبناء الأسواق والمجمعات التجارية، وفي عام 2023م، تم تشكيل فريق خاص مهمته إعادة تدشين سكن الإمام عبد الرحمن بن فيصل في «المباركية» ليكون متحفًا تاريخيًا يعرض عمق العلاقات بين الكويت والسعودية.  
أثناء تواجدا الملك عبدالعزيز في الكويت، كان رغم حداثة سنه قريباً من الشيخ مبارك الصباح، يشاهد حضور الوفود العرب والأجانب ويستمتع إلى النقاشات السياسية، ويلتقي بوفود القبائل من نجد وغيرها، وقد عاصر حادثة قتل مبارك الصباح لأخويه محمد وجراح في عام 1895م واستلامه زمام الحكم، كل هذه الحوادث وغيرها، لا بد أنه استفاد منها وهو في غفوان شبابه.  
لقد بذل عبدالعزيز الكثير من الجهد والإجتهاد في سبيل توحيد بلاد، وتعرض لصنوف مهلكة من الأخطار بشتى أنواعها، لكنه تجاوزها بشجاعته وحكته وصبره وحسن إدارته، ما جعل له توحيد البلاد، فقام بعد ذلك ببناء الدولة وأرسى قواعد تأسيسها ،لولولا الخروج عن مقتضى المدنية الزبير عام 1654م إثر خلاف بينه وأبناء عموته، ثم انتقل بعد بضأل ألقاقب بعد عقود من الزمن إلى الكويت واستقروا فيها إلى يومنا هذا، ومنهم إبراهيم بن ثاقب آل وطبان الذي تولى الحكم في الزبير مدة أربعة وعشرين عاما في عام 1798م، ثم تولى الحكم فيها أيضا ابنه محمد بن إبراهيم الثاقب، وهو والد لولوة الثاقب التي تزوجها الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله الصباح، وأنجب منها أولاده محمد وإبراهيم بن عبدالعزيز الصباح.

حين انتقال ووصول الإمام عبد الرحمن وأسرتة إلى الكويت، استقبل أمير الكويت الشيخ محمد الصباح سفنهم في ميناء الكويت، وأوكل إلى زوجته الشخية مريم حمد الصباح مهمة استقبال زوجة الإمام عبد الرحمن الأميرة سارة السديري -والدة الملك عبدالعزيز- وذلك منتصف نوفمبر 1892م.  
وحينما علم عبدالله بن حمد بن عبد الرحمن النفيسي الذي كان مقبياً في الكويت للعمل بالتجارة بقدوم الإمام عبد الرحمن وأسرتة، قام بشراء بيت ابن عامر الذي أقام فيه الملك عبد الرحمن الفيصل فيما بعد وتم تجهيزه لسكن عائلة الإمام عبد الرحمن .

وعبدالله النفيسي المذكور من مواليد الرياض 1861م، كان انتقل مع أسرته من بلاد نجد متوجهين إلى الكويت حيث استقروا وذلك في عام 1880م، وامتحن مع أبيه وأخيه محمد تجارة الخيول واللؤلؤ التي كانوا ينقلونها إلى الهند عبرا ويعودون من هناك بمختلف السلع الهندية لبيعها في مكان صغير بالسوق الداخلي.

ولهذه الأسرة علاقة قديمة مع آل سعود حيث يذكر أن عبد الرحمن النفيسي (جد المترجم له) كان من خاصة رجالات الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود، عنيّه أمنيًا على بيت ماله، ولما كان الملك عبدالعزيز في الكويت يضع خطط استرداد الرياض سنة 1902م ،كان مجلسه في ديوان حمد النفيسي (والد المترجم له)، بحضور عبدالله النفيسي والأمير عبدالله بن جلوي، وكان ضمن من خرج مع الملك عبدالعزيز من الكويت لهذا الغرض إبراهيم بن عبد الرحمن النفيسي (عم المترجم له وجد الممثل الكويتي المعروف خالد صالح النفيسي).  
بعد استرداد الرياض، لم ينس الملك عبدالعزيز مروءة ودعم النفيسي، فمنحه مهمة تمثيله في الكويت سياسيا وتجاريا دون قيد أو شرط، وظل شاغلا هذه الوظيفة إلى أن توفي عام 1942م فخلفه ولده الأكبر عبد العزيز عبدالله النفيسي الذي توفي سنة 1955م فحل مكانه ابنه فهد عبد العزيز النفيسي (حفيد المترجم له).

وعن بيت آل عامر الذي سكنه عبد الرحمن الفيصل وأسرتة يقول فرخان الفرخان: «هذه الأسرة آل بن عامر كانت في تأسيس الكويت «تحن وترن» كانت من كبار تجار الخيل في هذه البلاد... أسرة من هذا النوع لا بد أن يكون عندها منزل يناسبها وموقع مناسب، لهذا كان منزلها ومسكنها في وسط المدينة على مقربة من براحة السبعان وعلى مقربة من سوق الكويت الرئيسي المطل على البحر.

وقد طبع الدكتور محمد الشيباني رئيس مركز المخطوطات والوثائق في الكويت كتابا عنوانه: نص وثائقي نادر عن رسالة جوابية للشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ عبدالله بن صباح، نشر به نص جواب هذه الرسالة ومحتواه.  
ابتداء الكويت كبلد عامر منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي 1605، وكان نهج قادتها سياسة حكيمة وطدت العلاقة بين هؤلاء القادة ومواطنيهم، وجنبت العلاقة بينها وبين جيرانها مواطن التوتر بصفة عامة، كما أن موقعها الجغرافي خلق منها قوة ذات طابع بحري ،وكانت علاقتها مع السعوديين خالية من الشوائب، يستثنى من بعد أن حدثت بعض الإشكالات الخاصة في قضية «السابلية» ثم حلت وديا فيما بعد بين القيادتين بأسلوب حسن واستمرت هذه الإيجابية إلى زماننا هذا. ولامتلاك الكويت الكثير من السفن التجارية فقد أصبحت منفذًا خليجي وسوق يستقطب الكثير من التجار النجديين وغيرهم لشراء ما يحتاجون إليه من بضائع كانت ترد إليها من الهند وغيرها، يؤكد ذلك نزوح بعض الأسر والعوائل والقبائل من نجد إلى الكويت منذ فترات متقدمة لأسباب كثيرة مثل الأوبئة أو القحط أو الحروب أو العمل في التجارة أو الغوص وطلب العيش فقد استقرت في الكويت كثير من هذه الأسر، وليس أدل على ذلك من أن عرب الكويت -إلا ما ندر منهم- ينتفون إلى أسر وقبائل نجدية الموطن.

وعلى المستوى العلمي فنجد الإشارة هنا إلى أن أول قاض في الكويت هو محمد بن عبد الوهاب بن فيروز من آل بسام الوهبة من أهل أشيقر، وقد توفي في الكويت سنة 1722م، من ناحية أخرى فقد نشر الأستاذ باسم اللوغاني وثيقة تاريخية تعود إلى عام 1802م، ورد بها شراء مكان لولوة بنت محمد القناعي الواقع في الكويت من قبل حمد بن ثاقب آل وطبان، وأسرلة آل وطبان بن ربيعة تجتمع مع آل سعود في جدهم الأعلى مرخان، حيث انتقل وطبان مع أبنائه إلى مدينة الزبير عام 1654م إثر خلاف بينه وأبناء عموته، ثم انتقل بعض آل الثاقب بعد عقود من الزمن إلى الكويت واستقروا فيها إلى يومنا هذا، ومنهم إبراهيم بن ثاقب آل وطبان الذي تولى الحكم في الزبير مدة أربعة وعشرين عاما في عام 1798م، ثم تولى الحكم فيها أيضا ابنه محمد بن إبراهيم الثاقب، وهو والد لولوة الثاقب التي تزوجها الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله الصباح، وأنجب منها أولاده محمد وإبراهيم بن عبدالعزيز الصباح.

حين انتقال ووصول الإمام عبد الرحمن وأسرتة إلى الكويت، استقبل أمير الكويت الشيخ محمد الصباح سفنهم في ميناء الكويت، وأوكل إلى زوجته الشخية مريم حمد الصباح مهمة استقبال زوجة الإمام عبد الرحمن الأميرة سارة السديري -والدة الملك عبدالعزيز- وذلك منتصف نوفمبر 1892م.  
وحينما علم عبدالله بن حمد بن عبد الرحمن النفيسي الذي كان مقبياً في الكويت للعمل بالتجارة بقدوم الإمام عبد الرحمن وأسرتة، قام بشراء بيت ابن عامر الذي أقام فيه الملك عبد الرحمن الفيصل فيما بعد وتم تجهيزه لسكن عائلة الإمام عبد الرحمن .

وعبدالله النفيسي المذكور من مواليد الرياض 1861م، كان انتقل مع أسرته من بلاد نجد متوجهين إلى الكويت حيث استقروا وذلك في عام 1880م، وامتحن مع أبيه وأخيه محمد تجارة الخيول واللؤلؤ التي كانوا ينقلونها إلى الهند عبرا ويعودون من هناك بمختلف السلع الهندية لبيعها في مكان صغير بالسوق الداخلي.

إن العلاقات السعودية-البحرينية لم تكن عبر التاريخ مجرد علاقة جوار جغرافي، بل جسدت نموذجًا فريداً من التكامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فقد أرسى الملك عبد العزيز بحكمته وبعد نظره، قاعدة متينة لهذه الروابط، لكن ما ميزها أنها لم تتوقف عند جنبه فحسب، بل واصلت مسيرتها وتعمّزت عبر العقود بفضل حرص القيادتين في البلدين على تمتينها وتطويرها.

لقد أثبتت التجربة أن مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية هما أكثر من جارتين؛ فهما شعبان يجمعهما التاريخ والهوية والمصير المشترك، وروابط الأخوة التي تمتد عميقا في الوجدان. وما تأسس من عهد الملك عبد العزيز أصبح اليوم ركيزة أساسية لعلاقات راسخة تتجدد باستمرار، وتفتح آفاقا أوسع لمستقبل خليجي أكثر تكاملا وأمانًا وازدهارًا.

**الكويت والسعودية علاقة أخوة ممتدة منذ التأسيس**  
مثّلت الكويت محطة مفصلية في مسيرة الملك عبدالعزيز، إذ كانت الحاضنة التي شهدت بدايات مشروعه لاستعادة الرياض وتوحيد الجزيرة العربية. فقد وفرت له أرض الكويت الأمان والملاذ والدعم، وكانت مسرحًا للتواصل مع القبائل والتجار، ما منح المؤسس خبرة سياسية مبكرة وعلاقات متينة مع آل الصباح. ومن هنا، ترسخت العلاقة السعودية-الكويتية منذ البدايات على أسس من الأخوة والجوار والشرافة التاريخية التي ما زالت امتدادها حاضرًا حتى اليوم نكر ذلك من دولة الكويت الباحث سالم بن بشير السليمانى وحديثه عن العلاقات الكويتية السعودية.  
اليوم الوطني السعودي.. هو قصة حلم سبقت الزمن، وأداة فاعلة ارتقت بالواقع لترسم خطوط مستقبل مشرق بإرادة حقيقية تظهر نتائجها للعيان. تشهد على ذلك نهضة رؤية الملك الحالية التي تحققت في فترة وجيزة وسريعة فائقة بزعيم نبيل الملم ويتخطى كلاسيكية الشعارات لينطق بحروف التنفيذ والإنجاز المشهود.  
إذا استذكرنا زوايا التاريخ والماضي، فلنأبنا لمنبة بالأحداث، أحداث لم تأت من فراغ، صنعت على أيدي رجال عظام فنى جيّلهم، لتنعّم أجيال أخرى بما صنعوا، ولله سبحانه في كل أمر حكمة.  
تجمع كتب تاريخ الجزيرة العربية، أن جزيرة العرب مرت بقرون من غلبة الجهل والفرقة والتمزق، إضافة إلى انتشار الخرافات والبدع بين سكانها، إضافة إلى النزاع الشديد بين بلدانها وقبائلها المختلفة.

وقد صدق ابن عقيل حين قال: كل ناشئ في هذه الجزيرة يلزمه لعبدالعزيز ما هو لازم لأبى والمعلم والسلطان والعالم، لأنه حكم الشرع وجر النفوس من تدرك أمراء القرى ومشايخ القبائل وغطرسة القوي، وأنشأ التعليم ومحو الأمية، وهباً لله له وهباً لمن خلفه وسائل تضمن الكسب الحلال وسبل الحياة الكريمة الشريفة.  
ولا شك أن كل ما ننععم به اليوم من رعد ورخاء بفضل الله تعالى، لم يكن يحصل لو لا جهود ذلك الرجل الذي قلب موازين المعادلة في جزيرة العرب لتصلح كل فرد من شعوبها، فكيف جاء عبدالعزيز إلى الحكم؟ بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي عام 1865م، نشب نزاع وشقاق بين ابنه عبدالله وسعود، تناقسا على الزعامة، وتسبب ذلك في سلسلة من الحروب الطاحنة التي امتدت آثارها السلبية قرابة ثلاثين عاما.  
أل الحكم سنة 1874م إلى عبد الرحمن الفيصل بعد وفاة أخيه سعود، لكنه بعد شهرين تنازل لأخيه عبدالله بن فيصل بهدف إنهاء الصراع على الحكم، إلا أنه حصلت اضطرابات وفتن وتدخلات خارجية، وبعد انتصار ابن رشيد على اهل القصيم في معركة المليدا عام 1890م، أدرك عبدالعزيز الفيصل أنه ليس في قدرته الوقوف في وجه ابن رشيد، فأخرج بساءه وأولاده من الرياض وارتحلوا إلى الأحساء، فأثر الرحيل متوقلاً بين المبادية وقطر والبحرين حتى استقر به المقام في الكويت، وكان انتقاله إلى الكويت في عام 1892م في عهد حاكم الكويت محمد بن صباح، وهنا بدأت علاقة عبدالعزيز المباشرة بالكويت.

إذا رجعنا إلى الوراء قليلا لاطلاع على العلاقات الكويتية السعودية، نجد أول ذكر لها في رسالة من أمير الكويت عبدالله الصباح الذي تولى الحكم سنة 1763هـ / 1763م، وكان معاصرا للشيخ محمد بن عبد الوهاب أي بداية الدولة السعودية الأولى، وكان بعد برسالة إلى الشيخ ابن عبد الوهاب يسأله عما ينسب إليه فأجابه عن سؤاله، ثم طلب منه أن يفصل الجواب فكتب إليه رسالة مفصلة.

# الخليج العربي روح واحدة تجسدت في مشروع سعودي رائد

## من الجذور التاريخية إلى مجلس التعاون مسار الوحدة الخليجية



الملك عبدالعزيز مع الشيخ سلمان آل خليفة حاكم البحرين في حفل استقبال أقامه على شرفهما الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي . أرامكو . (دائرة الملك عبدالعزيز) .



زيارة الملك عبد العزيز للبحرين ويظهر في الصورة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة

استجاب الأمير تركي بن أحمد السديري لطلب السيد ثويني فقدمت قواته من واحة البريمي لتتضام للقوات العمانية، تحرك القوات لإخضاع القبائل المارقة، وبعد عدة مواجهات تمكنت القوات المتحالفة من إخضاع القبائل.

– الأمير سعود بن فيصل بن تركي يطلب النصرة من الإمام عزان بن قيس ضد أخيه الإمام عبدالله بن فيصل.

على أثر الخلاف بين الإمام عبدالله بن فيصل وأخوه الأمير سعود بن فيصل، قرر هذا الأخير الذهاب الى عمان، واللجوء الى الامام عزان .

قرر الامير سعود الذهاب الى عمان ومقابلة الامام عزان بن قيس وطلب النصرة منه، فشد الرحال وانطلق وجهته مسقط وذلك أو أواخر عام 1869م، فمر على واحة البريمي، وبعدها وهو في طريقه الى مسقط نزل في بركاء، حيث وجد الإمام عزان هناك، فاجتمع به في شهر يناير عام 1870م، وقد طلب الأمير من الامام النصرة بالمال والرجال، غير ان الامام اعتمر عن نصرته واخبره بانّه لا يمكن ان يتدخل بين أبناء الامام فيصل وعدها شأن داخلي سعودي لا يجب التدخل فيه

– استعانة السيد تركي بجنود سعوديين لصد هجمات أخيه السيد عبدالعزيز بن سعيد.

حدث بين السلطان تركي بن سعيد وأخيه السيد عبدالعزيز بن سعيد، وفي مرحلة من هذا الصراع استعان السيد تركي بجنود سعوديين لمساعدته لصد هجمات أخيه عليه، وقد ذكر الحارثي في كتابه موسوعة عمان للوثائق السرية هذه الواقعة

– العلاقات العمانية السعودية فترة حكم السلطان قابوس والملك فيصل بن عبدالعزيز.

قام جلالة السلطان قابوس بن سعيد في 11 سبتمبر عام 1971م بزيارة تاريخية للمملكة العربية السعودية وقد كانت أول زياره له للخارج بعد توليه الحكم، واستقبله الملك فيصل بحفاوة بالغة، ودارت بينهما مفاوضات تتعلق بالمشتلات الداخلية والعلاقات الثنائية، وعلى ضوء هذه الزيارة أعلنت الحكومتان بأن الخلافات الحدودية بينهما قد تم تسويتها وأرسيت الحدود الثابتة بين البلدين بشكل عام على أساس التحديدات البريطانية في نوفمبر سنة 1955م، وأثناء هذه الزيارة وعد الملك فيصل جلالة السلطان قابوس بتقديم الدعم المالي لعمان في مواجهة الخطر الشيوعي، وتأييد عضوية عمان في الجامعة العربية والأمم المتحدة. وقد اشارت التقارير الرسمية إلى أن حكومة المملكة العربية السعودية قد اعترفت بسيادة السلطان قابوس على قرى البريمي الثلاث حماسة وصعراء والبريمي بموجب التسوية التي أقرت عام 1955م، ووقف الدعم السعودي لرجال الإمامة في السعودية، وتخيرهم بين أن يرجعوا إلى عمان مع وعد من جلالة السلطان قابوس وأن يفتح معهم صفحة جديدة، أو أن يضلوا في السعودية ولكن بدون أن يقوموا بأي نشاط سياسي يضر بحكومة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد. لقد بدأت المملكة العربية السعودية في اتخاذ جوانب عدة لمساعدة عمان لصد الجبهة الشيوعية التي أصبحت تهدد عمان والخليج بشكل عام. عليه تم عقد اجتماع ثلاثي في الرياض في عام 1972م بين ممثلين من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية بهدف دراسة الوضع الداخلي في عمان والعمل على تطوير الجبهة الشعبية لتحرير ظفار، وتقديم السلاح والعتاد اللازم والمساعدات المالية للسلطنة.

عليه قامت المملكة العربية السعودية بدعم السلطان قابوس للتصدي لشيوعية في بلاده. وفي العام التالي استقبلت عمان بعثتين سعوديتين تحمل أموالاً وصفتان من الأسلحة قدرت بأكثر من خمسة عشر مليون دولار أمريكي. وفي يناير 1973م، تم إرسال شحنات من الأسلحة من ميناء رأس تنورة السعودي في الخليج مع بعثة عسكرية سعودية إلى عمان. وبمساعدة الأشقاء في المملكة تم القضاء على الشيوعية في ظفار بصورة نهائية.

– دعم المملكة السلطنة من عام 1975 إلى عام 2015

كان الملك فيصل خير معين لعمان في تلك الفترة الحرجة من تاريخها وقد سار خلفاؤه الملوك على نهجه وكانوا خير سند لعمان في كل امر جليل وكانت الحصن الحصين لها.

– العلاقات بين المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان في عهد السلطان هيثم والملك سلمان -حفظهم الله-.

في يوم 11 يوليو زار جلالة السلطان هيثم بن طارق المملكة العربية السعودية، وهي أول زيارة خارجية للسلطان هيثم منذ توليه الحكم قبل سنة من هذا التاريخ.

وقد تزينت شوارع مدينة نيووم السعودية بأعلام المملكة وسلطنة عمان لاستقبال سلطان عمان الذي يبدأ زيارة تلبية لدعوة من العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود.

تكررت الزيارات بين ولاة الأمر -حفظهم الله- سواء في المملكة أو السلطنة وأخرها زيارة سمو ولي العهد السعودي محمد بن سلمان -حفظه الله- قبل أيام قليلة.

واليوم تعتبر المملكة العربية السعودية من أكبر المناصرين لسلطنة عمان والمحامين عنها في المحافل الدولية والعالمية والداعمين لاقتصادها. ارتبطت قطر والسعودية بروابط قبيلة وتجارية مبكرة، تعززت بمراسلات قاسم بن محمد والملك عبدالعزيز، فعدت العلاقة عنواً للأخوة والتعاون تحدث عن ذلك د. عمر بن معن العجلي أكاديمي وعضو اتحاد المؤرخين العرب حول العلاقات التاريخية بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر:

مشهد العلاقات التاريخية بين السعودية وقطر من خلال أهم المحطات والفواصل التاريخية التي وقف عندها معظم المؤرخين ودنووا الاهتمام من الباحثين، كما كانت محورا لمعظم الوثائق والمخطوطات لتلك الحقبة. فبعداً من الصلح الذي عقد عام 1267هـ – 1851م بين الإمام فيصل



سلطان وكان من أهم بنود هذا الاتفاق هو إبرام معاهدة دفاع مشترك، وبأن يدعم كل منهما الآخر في حالة قيام تمرد قبلي في المقاطعة الواقعة تحت نفوذه بموجب التقسيم الذي أوردوه في اتفاقهما.

• تفعيل بند التعاون بين القوات السعودية في عهد الإمام تركي بن عبد الله وبين السيد سعيد بن سلطان

تعاون السيد سعيد مع القوات السعودية المرابطة في البريمي وفعل معها بند تعاون الدفاع المشترك الذي وقع بينهما وذلك حينما أراد السلطان سعيد أن يرجع جزيرة ممباسا لحكمة وينزعها من يد المزارع فقد طلب عام 1833م، من سعد بن مطلق المطيري الأمير الذي عين خلفا لعمر بن عفيصان على البريمي، أن يساعده في إخضاع جزيرة ممباسا في الشرق الأفريقي من ممتلكات السلطان سعيد. اجبرت الحملة الى ممباسا بعد ان ترك السلطان سعيد احد ابناءه ينوب عنه في مسقط، وهكذا ان السلطان سعيد استعان بالقوات السعودية أكثر من مرة مثل ما سنرى في قادم الاحداث

• تعاون السيد سعيد والسعوديين للسيطرة على صحار من يد السيد حمود بن عزان بن قيس من صحار.

ايضا نجد ان السيد سعيد بن سلطان فعل بند التعاون بينه وبين القوات السعودية في البريمي عندما حاول استرداد صحار من يد السيد حمود بن عزان وكذلك الرستاق التي كانت تحت حكم السيد حمود بن عزان ايضا، فعقد اتفاق عام 1836م، مع سعد بن مطلق لمحاربة صحار والرستاق، وقد كانت الخطة تقتضي أن يهاجم سعد بن مطلق صحار من البر بينما يهاجم السيد سعيد بأسطوله من البحر لم تتم الخطة بحسب ما اتفق عليه ليرجع كل الفريقين الى معسكر.

– والي السلطان سعيد بن سلطان في مسقط السيد ثويني بن سعيد يتعاون مع السعوديين لإخضاع المخالفين له من بعض القبائل العمانية.

بعد أن وقع الصلح بين البوسعديين وآل سعود في البريمي عام 1853م، وتوقيع اتفاقية السلم البحرية الدائمة في الشارقة هدئت الأوضاع في المنطقة، ومنها تفعيل بند التعاون المشترك بين القوات السعودية والعمانية، وذلك حينما خرجت بعض القبائل العمانية عن الطاعة وذلك في عام 1854م، وأمام هذا الموقف تعاون السيد ثويني مع القوات السعودية المتواجدة في البريمي وطلب منهم المساعدة في إخضاع هذه القبائل.

و الدفاع، لتجذر كشراكة تاريخية عابرة للقرون، قائمة على حسن الجوار ذكر ذلك: أحمد بن سعيد البادي- كاتب وباحث في التاريخ الخليجي.

اليوم الوطني للملكة هو بمثابة فخر واعتزاز للجميع لأن المملكة العربية السعودية هي القاطرة التي تقود دول المنطقة بلا استثناء.

المملكة هي وجهة المسلمين جميعا فقد أكرمها الله بشرف عظيم وهو خدمة الحرمين الشريفين وهذا من كرم الله عز وجل لهذه البلاد، كما يزيدنا شرفا وفي كل عام خدمة حجاج بيت الله الحرام الذين يأتون من كل حذب وصوب في تظاهرة عالمية بنظام متقن وفي مكان واحد وفي أيام محددة، حيث تنتشر هذه البلاد سنويا باستقبال الملايين من الحجاج في كل عام ويكل وترحب وفرح.

كل الجهات المختصة في قطاعات الدولة يزيدنا شرفا هذا الحدث العظيم الذي قال الله عز وجل فيه (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).

هذه الشعبية العظيمة لا يمكن لأي دولة مهما بلغت إمكانياتها وتقديمها التقني والعلمي أن تنظم هذه المسيرات والتجمعات في وقت واحد وتضرب لها جميع الخدمات وتجعلها في متناول ضيوف الرحمن دون من ولا أذى.

نعم حق لهذه البلاد أن تفاخر بهذا العمل الجبار الذي يستمر في التطور والتجديد والاحتراقية في العمل في كل عام، مع تسخير الخدمات الصحية والأمنية والتطوعية وتسخير التقنية الحديثة التي يشرف عليها رجال مخلصون يرجون الثواب من الله عز وجل.

أما في مجال التطور المتسارع فقد قفزت المملكة قفزات سريعة في المجال الصناعي والتقني والطبي والأمني من خلال الخدمات الالكترونية التي سبقت فيها الكثير من الدول المتقدمة.

وقد شهدت لها تلك الدول في جميع هذه الجوانب، ناهيك عن مواقفها الإنسانية وعلاقتها المتميزة مع دول الجوار والدول العربية والأجنبية. كل هذه القفزات الهائلة جاءت بتوفيق الله عز وجل ثم بحكمة قيادتها الرشيدة واهتمام خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين الذين جعل نصب أعينهم تطوير المنصر البشري بكل ما انتج لهم من جهود مستمرة في التطوير والتعليم في جميع المجالات.

وهذا ما جعل المملكة تصبح في مصاف الدول المتقدمة في شتى المجالات وهذا قليل من كثير.

هذه الخطى المتسارعة تتسابق الزمن وتقول للتجمعات الأخرى نحن معكم يدا بيد في سبيل تحقيق الحياة الكريمة للإنسان الذي هو من يعمر هذه الأرض.

ذلك فضل الله الذي أنعم به على هذه البلاد بعلاقاتها مع دول الخليج العربي المجترة في التاريخ.

وسلطنة عمان تفاخر بهذه العلاقة المتميزة التي تزداد قوة ومتانة وتطورا يوم بعد يوم وليس في كل عام.

حفظ الله قادتنا جميعا وأدام بينهم المحبة والتواصل الأخوي الذي يطمح إليه الجميع بين الشعبين الشقيقين.

- العلاقات التاريخية بين سلطنة عمان و المملكة العربية السعودية بعض السمات المشتركة بين الدولتين
- سنة التأسيس هي واحدة في عام 1744 في الدرعية اتفاق الأمير محمد بن سعود، وفي عمان مبايعة الإمام أحمد بن سعيد البوسعدي غير أنه تم تغيير هذا التاريخ بعد ذلك ليكون تاريخ التأسيس عام 1727 وهي سنة تولي الإمام محمد بن سعود إمارة في الدرعية.
  - اشتركوا في كثير من السمات منها الاسم البوسعديون وآل سعود وبعض أسماء الحكام مثل
- | الرقم | المملكة العربية السعودية | سلطنة عمان                 |
|-------|--------------------------|----------------------------|
| 1     | الإمام محمد بن سعود      | السيد محمد بن تركي بن سعيد |
| 2     | الإمام عبدالعزيز بن محمد | السيد عبدالعزيز بن         |
- سعيد بن سلطان
- |   |                                         |                         |
|---|-----------------------------------------|-------------------------|
| 3 | الإمام سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير) | السيد                   |
| 4 | سعود بن عزان بن قيس البوسعدي            |                         |
| 4 | الإمام تركي بن عبد الله                 | السلطان تركي بن سعيد بن |
- سلطان
- |   |                     |                      |
|---|---------------------|----------------------|
| 5 | الإمام فيصل بن تركي | السلطان فيصل بن تركي |
|---|---------------------|----------------------|

تزامن الحكام بحسب المراحل التي مرت بها الدولة السعودية

● الدولة السعودية الأولى من عام 1744 الى عام 1818م.

- كانت عاصمتها الدرعية.
- |   |                                         |
|---|-----------------------------------------|
| 1 | الإمام محمد بن سعود                     |
| 2 | الإمام عبدالعزيز بن محمد                |
| 3 | الإمام سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير) |
| 4 | الإمام عبدالله بن سعود.                 |

- حكام عمان في هذه الفترة
- |   |                                                        |
|---|--------------------------------------------------------|
| 1 | الإمام أحمد بن سعيد البوسعدي. العاصمة صحار ثم الرستاق. |
| 2 | الإمام سعيد بن احمد البوسعدي. الرستاق                  |
| 3 | السيد حمد بن سعيد البوسعدي. مسقط                       |
| 4 | السيد سلطان بن احمد البوسعدي. مسقط                     |
| 5 | السلطان سعيد بن سلطان البوسعدي. العاصمة مسقط ثم زنجبار |

●الدولة السعودية الثانية 1824 الى عام 1897م. العاصمة الرياض

- |   |                         |
|---|-------------------------|
| 1 | الإمام تركي بن عبدالله. |
| 2 | الإمام فيصل بن تركي.    |
| 3 | الإمام عبدالله بن فيصل. |

• في عام 1833م وقع اتفاق بين السعوديين والسلطان سعيد بن

# قطر والمملكة.. مراسلات الأخوة وجذور التاريخ المشترك

## من المعاهدات إلى النفط مسار ترابط سياسي واقتصادي متين



عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م  
الملك عبدالعزيز آل سعود والشيخ حمد آل خليفة  
في قصر القضيبة حيث يقيم أثناء



عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٨م  
الملك عبدالعزيز آل سعود مع الشيخ حمد آل خليفة  
وسم أبناءه: الأمير سعود ولي العهد على يمينه  
والأمير فيصل على يساره في منى أثناء الحج  
المصغر: عبدالله السبركاتي

تاريخيا إلى ربيع الأول من عام 1310 هجري والرسالة مكتوبة في الهند ومرسلة إلى قطر.

أوقاف الشيخ قاسم آل ثاني في السعودية وأثرها الإنساني في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية:

تشير من خلال الوثائق بهذا الخصوص أن للشيخ قاسم بن محمد أربعة أوقاف كبيرة في نجد وأربعة مثلها في المنب ومثلها في الأحساء والقصيم.. وفي العارض له وقف في الأراضي والمزارع.

وقد وكل الشيخ قاسم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ بإدارة الأوقاف الخاصة به في منطقة العارض ونجد. ومن أشهر الأوقاف في مدينة الرياض هو الوقف المعروف في محلاتي الباطن وسلطنة. وكان شرطها أن تُصرف هذه الأوقاف للأعمال الخيرية وأن يكون ريعها في سبيل الله إلى طلبة العلم من الغرياء والمهاجرين وعلى من هو مستحق له. وقد جاء في وصيته توزع عليهم على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف 10,000 روبية مرسل له منها 2000 لأهل الخرج و2000 أوروبية إلى سعد بن عتيق يضعوه في الوقف وألف روبية على الشيخ إبراهيم في الحوطة يضعها في الوقف وفي نص آخر عشرة 10,000 روبية الشيخ قاسم بن عبد اللطيف ويوجد وقف مشهور في بلدة العذار الواقعة في الدلم وهذا الوقف يصرف على الأئمة والمؤننين والفقراء بالدلم وكذلك العذار وزميلة.

وهناك وثائق على شكل توكيلات مخطوطة باليد محررة إلى الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ بشأن أوقاف الشيخ قاسم في السعودية. ومن المعلوم أيضا أنه لديه أوقاف كثيرة أخرى في البحرين وفي البصرة التي أوكلت إدارتها إلى أسرة القرطاس في الزبير.

ويقل أيضا عن الرحالة سانت فيليبي قوله وحدث في قطر أن مات صديق بن سعود وحليفه القديم قاسم بن ثاني.

وجاء في إحدى التقارير البريطانية المكتوبة من قبل يوسف أحمد كائوا في سنة 1912م الموافق 1331 للهجرة أن الشيخ قاسم توفي يوم الخميس 24 يوليو وقد ترك في وصيته ضمن ما ترك 10,000 روبية لعيد العزیز آل سعود ومثلها لأبيه 10,000. لأحد العلماء في الرياض و20,000 توزع على الفقراء النجديين والمقصود بأحد العلماء هو الشيخ عبد الله بن عبداللطيف.

وبدون الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع المتوفي سنة 1385هـ بعض مآثر الشيخ قاسم مشيرا إلى أعماله الخيرية وأوقافه ووصفه إنه من أكابر الرجال المحسنين وأوصى بأموال كثيرة تفرق بعد موته، على أن تكون لأهل التوحيد.

ومن الوثائق التي تبين عمق الصلة الاجتماعية بين أهل قطر ونجد، ورد فيها الإشارة إلى إحدى محلات الدوحة أو ما يسمى بفريج أهل نجد في قطر وهذه الوثيقة مؤرخة سنة 1330 للهجرة وهي ضمن مكتبة



لنضوج الحالة السياسية في ظهور الكيانات السياسية الحديثة، والانتقال بهذا الوجود الاجتماعي من حالة الغفوض وعدم الاستقرار- التي صبغت الحالة الاجتماعية لقرون عديدة خلت إلى حالة من الوعي الجمعي بأهمية الارتباط بالأرض والعمل بتنمائها وانسجام نحو العلاقة المصرية وشعور الانتماء بها.

وهذا يعد نقلة نوعية في تاريخ هذه الإقليم الجغرافي الذي لم يشهد حكما سياسيا مشابها من قبل يقبض الحدود والسكان بإرادة ذات أهداف واضحة.

تظهر الوثائق العثمانية وتقارير المقيمة البريطانية، إلى جانب روايات الرحالة أمثال بلجريف ولوريير، أن العلاقة بين آل سعود وال ثاني لم تختزل في تحالف شكلي أو علاقة عابرة، بل تميّزت بقدر من المرونة السياسية التي اتاحت لقطر الحفاظ على خصوصيتها؛ وفي الوقت نفسه ربطتها بشبكة النفوذ النجدي ذات المرجعية الدينية والسياسية، وعبر منظومة الروابط القبلية والتجارية.

لقد شكلت هذه العلاقة إحدى الحلقات الحاسمة في رسم مسار التوازنات الخليجية في القرن التاسع عشر، وأسهمت في بلورة صبغة الكيائن السياسية، في ظل صراع القوى الإقليمية والدولية: (الدولة العثمانية، بريطانيا، الساحل العماني والبحرين).

وفي قلب هذه العلاقة تبرز المراسلات الودية المتبادلة، وأيضاً أعمال الأوقاف التي أنشأها الشيخ قاسم في السعودية، وما حملته من دلالات عقائدية واجتماعية. ويضاف إلى ذلك الدور العلمي والثقافي المتمثل في نشر الكتب المطبوعة في الهند وإصالتها إلى الجزيرة العربية، مما عمق جسور المعرفة والمقاربة الثقافية والفكرية المجتمعية.

بهذا الربط ومن خلال الإضاءات التالية، نتضح لنا صورة مقبولة تظهر كيف أسهمت هذه المحاور في تشكيل نسج هذه العلاقات التاريخية:

وقد يلزم استقراء موجز للبيئة التاريخية والسياسية لأحداث الحقبة المشار إليها، يكون فيه تغطية وإنارة لبعض الزوايا لتسلسل الحوادث وشخصها منذ ظهور زعامة الإمام فيصل بن تركي واتساع نفوذه من جنوب البصرة ولغاية عمان، ثم عودة العثمانيين كقوة ظاهرة مغتلبة في المنطقة بعد غياب دام منتي عام عن شرق جزيرة العرب وخليجها، لبدء سجال الصراع والمنافسة مع البريطانيين كقوة جديدة انتمت بالخطورة والحكر والسطوة الكاملة على معظم سواحل الخليج العربي، بلوغا إلى حملة الأحساء 1871م، وهو الحدث التاريخي الذي غير المشهد السياسي بظهور زعامة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، الذي أصبح رقما صعبا وثابتا في معادلة الصراع بين القوى الدولية التي شكلت مستقبل المنطقة فيما بعد الحرب العالمية الأولى.

والمعلوم أن حملة مدحت باشا جاءت مختصرة الأهداف بسبب تغير موازين القوى، ونجح هذه الموازين لنفوذ الإنجليز وقوتهم الجديدة المتغلغلة، وتعددت علاقاتهم مع العثمانيين، خلافا للأوضاع السياسية السائدة قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.. فمثلا، نلاحظ أن دعم الإنجليز للدولة العثمانية في حربها مع الروس (حرب الرقم 1853م) كان لسبب وحيد هو الاستئثار بالغنيمة العثمانية وقطع أوصال ما عرف بـ "الرجل المريض" بدون حرب معلنة، وبالمقابل كان هذا الدعم بمثابة دين مردود في رقبته الدولة العثمانية ومستوجبا للوفاء في كل مناسبة، وكان الإنجليز يطوقون الدولة العثمانية بالديون، مما ترتب من نتائجه هو غض الطرف من قبل الدولة العثمانية لتدخل الإنجليز في المنطقة، والتأكيد الرسمي المستمر على الولاة والموظفين بعدم استفزاز الإنجليز بالرغم من التقارير الصريحة التي توضح خطورة الأحداث والمواقف التي تعني بمجملها انحسار النفوذ العثماني وإحلال الإنجليز محله. مع ذلك استمرت المصادرة الضخمة بهذا النهج في التراجع أمامهم والتساهل في قضايا مصرية تخص مصالح المنطقة العربية عموما صاحبها نفريط مؤلم ومؤذ خلال العقود الأخيرة التي سبقت انحسار الدولة العثمانية.

إن رؤيتنا إلى المشهد تقرب وتبتعد.. فحين تقرب نتبين لنا مظاهر القوة في إعادة تشكل الكيان السعودي بقيادة الإمام فيصل بن تركي، وما جرى من تحالف عقائدي وقبلي مع الشيخ محمد بن ثاني بعد خصومة عابرة عام 1851.. ثم وقائع حملة مدحت باشا العثمانية 1871م، وتلاحق أحداثها بحزم قطر وتعين الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قائما مقام حاكم لقطر من قبل الدولة العثمانية، وما جرى بعد ذلك من السجال في العلاقة مع العثمانيين والبريطانيين والقوى الإقليمية الأخرى.

كما تبتعد رؤيتنا، في تقلب صفحات التاريخ الذي تدافعت أحداثه بسنن الله المولومة، تمازجا وتفاعلا وتأثرا ببعضها، لنرى كيف تشكل مستقبل المنطقة بشخصيتين من طرفي المشهد: الإمام فيصل بن تركي وحفيده عبدالعزيز وهما يستأنفان الدولة السعودية بنسختها الثانية والثالثة العتيدة، والطرف الآخر برز فيه الشيخ محمد بن ثاني ومن بعد ابنه قاسم مؤسس قطر الحديثة. وقد تداولت بينهما روابط الدين والقبلية والمصالح، كما تخللتها لحظات شدّ وجذب، وظهرت في خلفيتها أنفاس العثمانيين وعيون البريطانيين، وتداخل قوى الجوار.

لم تكن العلاقة بين الطرفين مجرد شأن محلي، بل كانت انعكاسا لصراع القوى في جزيرة العرب والخليج العربي، فالدولة السعودية الثانية مثلت القوة المركزية في نجد، بينما كانت قطر، بما امتلكته من تجمع قبلي لاقت إلى جانب أهميتها التجارية بوجود موانئ ومغاصات لإؤلؤل، أغرت القوى الطامحة إلى النفوذ البحري. وبين هذا وذاك، تشكلت شبكة علاقات ذات طابع خاص بين آل ثاني وآل سعود، قوامها التداخل الاجتماعي والاقتصادي، والتماثل العقائدي والقبلي، والاعتبارات السياسية التي فرضتها لحظة تاريخية فارقة.

ويستطرد الدكتور راشد بن محمد بن عساکر في كتابه الأعمال الخيرية العلاقة بين الشيخ قاسم آل ثاني مع الملك عبدالعزيز كتبه يوسف بن أحمد كائوا وهو يشير إلى الأجواء الإيجابية في هذه العلاقة ومعروف عن يوسف أحمد كائوا أنه يزود المقيم البريطاني بتفاصيل عن أحوال المنطقة في قطر والسعودية خلال حكم الشيخ قاسم آل ثاني.

وأخر كتبه يوسف كائوا سنة 1331 هـ 1914 ميلادي يتحدث فيه عن مضمون وصية الشيخ قاسم آل ثاني وأنه ترك 10,000 روبية للملك عبدالعزيز ومثلها للإمام عبد الرحمن الفيصل ومثلها الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ و20 ألف لفقراء نجد.

وقد أشار الدكتور راشد بن محمد بن عساکر في كتابه الأعمال الخيرية والأوقاف الشرعية في نجد للشيخ قاسم بن محمد آل ثاني إلى بعض الرسائل النادرة المتبادلة والوثائق والتقارير البريطانية التي تحدثت عن العلاقات الحميمة والصداقة المتينة بين أسرتي آل سعود وآل ثاني، "لتؤكد مدى المحبة بين القائدين الملك عبدالعزيز والشيخ قاسم بن محمد بن ثاني" حيث أشار لبعض الوثائق البريطانية نقلا عن تقرير من جون كالكويت جاكسون سنة 1902م إلى أن "الشيخ قاسم كان يضرر محبة القبلية للملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن وأنه رأى عدم تقديم أي دعم لابن رشيد. بل أرسل الشيخ قاسم معونات مالية للإمام عبد الرحمن الفيصل في سنة 1904م، وبالمثل قام الملك عبدالعزيز بزيارة سريعة إلى قطر لمساعدة الشيخ قاسم في بعض الأمور الداخلية بشأن أوضاع بعض القبائل وذلك في أغسطس من سنة 1905م، والتقى به في مكان عريق بالدوحة كما تفيد الوثائق البريطانية بأنه كانت بين القائدين صداقة وحلف قديم". ومثل هذه النصوص نقلت عن قبيلي ولوريير بوثائق مرفقة وذات مراجع معلومة.

ويستطرد الدكتور راشد بن عساکر بالتأكيد على متانة تلك العلاقات الأخوية بين القائدين الكبيرين ما كان يقوم به الشيخ قاسم بن ثاني من وساطات وشفاعات للأفراد والأسر وللقبائل التي تكون أخطأت في بعض تصرفاتها أو توجهاتها، وهي ضمن سلطة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل فكان الملك لا يقبل شفاعته أو طلبا لاتماس العفو إلا بشفاعته الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني. ويشير إلى حادثة بعض الأفراد من أسرة آل بسام من أهل عنيزة وبني هزان من أهل الحريق. كذلك أوردها فيبيلي في كتابه: "السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء".

وهناك رسالة نادرة كتبها الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ من الهند إلى الإمام عبد الرحمن الفيصل في عام 1310 هـ، وتأتي هذه الرسالة ليكشف تاريخها عن إقامة عبد الرحمن الفيصل وأسرتيه في قطر ويشير

بن تركي والشيخ محمد بن ثاني، يتضح مسار التاريخ الممتد بين قطر وعمقها النجدي، تتجلى فيه محطات فارقة تعكس عمق العلاقات القطرية-السعودية في القرن التاسع عشر، حيث كانت أول لبنة في بناء جسور التفاهم والتعاون، ثم توالت فصول هذه العلاقة عبر محطات تتعمق فيها الروابط، خاصة في زمن الشيخ محمد بن ثاني وابنه قاسم والعلاقات التي نسجها مع حكام آل سعود آنذاك، من الإمام فيصل بن تركي وابنه عبدالله وصولا إلى عبدالعزيز بن عبد الرحمن.

في تلك المرحلة المبكرة من القرن التاسع عشر الميلادي، وقبل الصلح المشار إليه، كان والد الإمام فيصل بن تركي، وهو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، قد أسس الدعائم الأولى للدولة السعودية الثانية منذ 1824م.

فقد كان سقوط الدرعية عام 1818م على يد إبراهيم بن محمد علي حدثاً مفصلياً، هذا السقوط جاء بسبب حملة عثمانية (مصرية) شرسة، حيث ارتكب إبراهيم بن محمد علي بالغدر والاندماج المروءة مجازر مروءة قتل فيها الآلاف، وتعتبر وثيقة عثمانية إلى إنه تم إعدام (أو التكتيل حسب وصف الوثيقة) بما يقارب عشرين ألف شخص. وقد سبّل المؤرخون مثل البيطار والجبرتي تلك الفظائع.

من هنا نجد أن منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الذي شكّل بأحداثه موقفاً محورياً في تاريخ الجزيرة العربية وخليجها، حيث كانت نجد وقطر بمثابة مسرحين متداخلين لحركة التاريخ وتطورات متسارعة وحلقات متتابعة تسوقها الأقدار نحو تشكيل مستقبلٍ موعود للمنطقة بأسرها.

وقد يلزم استقراء موجز للبيئة التاريخية والسياسية لأحداث الحقبة المشار إليها، يكون فيه تغطية وإنارة لبعض الزوايا لتسلسل الحوادث وشخصها منذ ظهور زعامة الإمام فيصل بن تركي واتساع نفوذه من جنوب البصرة ولغاية عمان، ثم عودة العثمانيين كقوة ظاهرة مغتلبة في المنطقة بعد غياب دام منتي عام عن شرق جزيرة العرب وخليجها، لبدء سجال الصراع والمنافسة مع البريطانيين كقوة جديدة انتمت بالخطورة والحكر والسطوة الكاملة على معظم سواحل الخليج العربي، بلوغا إلى حملة الأحساء 1871م، وهو الحدث التاريخي الذي غير المشهد السياسي بظهور زعامة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، الذي أصبح رقما صعبا وثابتا في معادلة الصراع بين القوى الدولية التي شكلت مستقبل المنطقة فيما بعد الحرب العالمية الأولى.

والمعلوم أن حملة مدحت باشا جاءت مختصرة الأهداف بسبب تغير موازين القوى، ونجح هذه الموازين لنفوذ الإنجليز وقوتهم الجديدة المتغلغلة، وتعددت علاقاتهم مع العثمانيين، خلافا للأوضاع السياسية السائدة قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.. فمثلا، نلاحظ أن دعم الإنجليز للدولة العثمانية في حربها مع الروس (حرب الرقم 1853م) كان لسبب وحيد هو الاستئثار بالغنيمة العثمانية وقطع أوصال ما عرف بـ "الرجل المريض" بدون حرب معلنة، وبالمقابل كان هذا الدعم بمثابة دين مردود في رقبته الدولة العثمانية ومستوجبا للوفاء في كل مناسبة، وكان الإنجليز يطوقون الدولة العثمانية بالديون، مما ترتب من نتائجه هو غض الطرف من قبل الدولة العثمانية لتدخل الإنجليز في المنطقة، والتأكيد الرسمي المستمر على الولاة والموظفين بعدم استفزاز الإنجليز بالرغم من التقارير الصريحة التي توضح خطورة الأحداث والمواقف التي تعني بمجملها انحسار النفوذ العثماني وإحلال الإنجليز محله. مع ذلك استمرت المصادرة الضخمة بهذا النهج في التراجع أمامهم والتساهل في قضايا مصرية تخص مصالح المنطقة العربية عموما صاحبها نفريط مؤلم ومؤذ خلال العقود الأخيرة التي سبقت انحسار الدولة العثمانية.

إن رؤيتنا إلى المشهد تقرب وتبتعد.. فحين تقرب نتبين لنا مظاهر القوة في إعادة تشكل الكيان السعودي بقيادة الإمام فيصل بن تركي، وما جرى من تحالف عقائدي وقبلي مع الشيخ محمد بن ثاني بعد خصومة عابرة عام 1851.. ثم وقائع حملة مدحت باشا العثمانية 1871م، وتلاحق أحداثها بحزم قطر وتعين الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قائما مقام حاكم لقطر من قبل الدولة العثمانية، وما جرى بعد ذلك من السجال في العلاقة مع العثمانيين والبريطانيين والقوى الإقليمية الأخرى.

كما تبتعد رؤيتنا، في تقلب صفحات التاريخ الذي تدافعت أحداثه بسنن الله المولومة، تمازجا وتفاعلا وتأثرا ببعضها، لنرى كيف تشكل مستقبل المنطقة بشخصيتين من طرفي المشهد: الإمام فيصل بن تركي وحفيده عبدالعزيز وهما يستأنفان الدولة السعودية بنسختها الثانية والثالثة العتيدة، والطرف الآخر برز فيه الشيخ محمد بن ثاني ومن بعد ابنه قاسم مؤسس قطر الحديثة. وقد تداولت بينهما روابط الدين والقبلية والمصالح، كما تخللتها لحظات شدّ وجذب، وظهرت في خلفيتها أنفاس العثمانيين وعيون البريطانيين، وتداخل قوى الجوار.

لم تكن العلاقة بين الطرفين مجرد شأن محلي، بل كانت انعكاسا لصراع القوى في جزيرة العرب والخليج العربي، فالدولة السعودية الثانية مثلت القوة المركزية في نجد، بينما كانت قطر، بما امتلكته من تجمع قبلي لاقت إلى جانب أهميتها التجارية بوجود موانئ ومغاصات لإؤلؤل، أغرت القوى الطامحة إلى النفوذ البحري. وبين هذا وذاك، تشكلت شبكة علاقات ذات طابع خاص بين آل ثاني وآل سعود، قوامها التداخل الاجتماعي والاقتصادي، والتماثل العقائدي والقبلي، والاعتبارات السياسية التي فرضتها لحظة تاريخية فارقة.

ويستطرد الدكتور راشد بن محمد بن عساکر في كتابه الأعمال الخيرية الأخوية بين القائدين الكبيرين ما كان يقوم به الشيخ قاسم بن ثاني من وساطات وشفاعات للأفراد والأسر وللقبائل التي تكون أخطأت في بعض تصرفاتها أو توجهاتها، وهي ضمن سلطة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل فكان الملك لا يقبل شفاعته أو طلبا لاتماس العفو إلا بشفاعته الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني. ويشير إلى حادثة بعض الأفراد من أسرة آل بسام من أهل عنيزة وبني هزان من أهل الحريق. كذلك أوردها فيبيلي في كتابه: "السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء".

وهناك رسالة نادرة كتبها الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ من الهند إلى الإمام عبد الرحمن الفيصل في عام 1310 هـ، وتأتي هذه الرسالة ليكشف تاريخها عن إقامة عبد الرحمن الفيصل وأسرتيه في قطر ويشير

لقد ترك المؤسسون لهذين الكيائن تراثاً غنياً في تقاليد الحكم في تعزيز التلاحم القبلي وربط وشائج المجتمع الجديد برؤية جامعة نحو الوحدة الاجتماعية المتطلعة إلى كيان واضح المعالم.

بعد ذلك نخلت هذه القبائل مرحلة التفاعل والانتقال من مستويات الخلاف والعدا و التناف إلى مرحلة التحالف القبلي الداخلي.. وصولا إلى مرحلة مقبولة من الانسجام نحو تبلور عمق مجتمعي كان رديفا